الباب الرابع

رأي الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الزهد

الفصل الأول: منهج التفسير الجيلاني

يوافق الباحث بقول سيد جبريل أن منهج تفسير الجيلانى يقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

1. منهج التفسير باعتبار المصادر التي يستمد الشيخ منها.
2. منهج التفسير باعتبار كيفية تناوله وعرضه .ويعلم من خطة التفسير والأمثلة المذكورة، أن تفسير الجيلاني هو تفسير تحليلي .لأن المفسر يتبع ترتيب المصحف ,فيشرح جملة من الأيات أو سورة أو القرآن كله على هذا النمط الموضعي ,ويبين ما يتعلق بكل أية من مناسباتها وسبب نزولها ومفرداتها ونحو ذلك مما يتقرر به معناها وما ترمي اليه في تراكيبها ويذكر وجه الربط بين مقاصدها.
3. منهج التفسير باعتبار عموم موضوعاته أو خصوصها .أن تفسير الجيلاني هو تفسير عام لأن المفسر يؤخذ من القسمية يتناول السورة أو السور متتبعا لكل أياتها على الترتيب مهما تعددت موضوعاتها ,فينتقل المفسر مع السياق

من موضوع الى موضوع شارحا ومبينا وعارضا لأوجه التناسب بين الأيات وبين الموضوعات وبين السور وهو يفعل ذلك في القدر الذى يتناوله.

الفصل الثاني: اتجاه التفسير الجيلاني

بعد أن قرأ الباحث تفسير الجيلاني ويلاحظه ,توصل الى أن الشيخ قد استعمل العبارات الصوفية كثيرا في تفسير القرآن مثل" توحيد الذات[84]" "مقام الكشف والشهود[85]" "الوصول الى مرتبة الأصلية [86]"و" السلوك" و" المرشد[87]" و"التجلي "الى غير ذلك .فمثلا أيضا بعد قوله تعالى حاكيا عن قصة موسى عليه السلام والعبد من عباد الله أتاه رحمة من عنده (ومما جرى بينهما صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما يتفطن العارف اللبيب والطالب الأريب الأديب :أن شرط الإستفادة والإسترشاد ومناط الإستكمال وطلب الرشاد، هو أن يميت المريد المسترشد نفسه عند المرشد الكامل المكمل بالموت الإرادى بحيث لايتصدى إلى معارضته ومقابلته ,وإن جزم أن فعل المرشد خارج عن مقتضى العقل والشرع على

---

[84]. الشيخ عبد القادر الجيلاني، تفسير الجيلاني الجزء الأول ص 34

[85]. نفس المرجع، ص 41

[86]. نفس المرجع، ص 45

[87]. نفس المرجع، الجزء الثالث ص 222

زعمه, بل حمل فعله على المحمل الأصوب ,وسكت عن الجدال والمقابلة ,إذ بعد ما فوض أمره كله إلى مرشده واتخذه وكيلا وأخذه ضمينا وكفيلا ,فقد فني فيه وبقي ببقائه ,فلم يبق له التصرف أصلا بمقتضيات قواه وجوارحه ومداركه ومشاعره.

هب لنا ربنا من لدنك رحمة تنجينا عن تسويلات نفوسنا[88].

ولهذا لائق بأن الشيخ متعمق في علم التصوف حتى يلقب ب"إمام العارفين" و" تاج الدين" و"القطب الكامل"، و"سلطان الأولياء" وغير ذلك. فلذلك يعرف أن اتجاه تفسير الجيلاني هو اتجاه إشارى أو صوفي ويمكن أن يسمى بالتفسير الإشارى

وإن كان هناك إختلاف بين العلماء ,بعضهم أجاوزا التفسير الإشارى وبعضهم منعوه ,منهم:

1. قال الزركشي :إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة.
2. قال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن

---

[88]. نفس المكان

بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم تنظير لما كرد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس.

3. قال النسفي في عقائده النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل إلحاد.

4. قال التفتازاني في شرحه وسميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية.

5. قال بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينهاوبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان[89].

6. قال الشاطبي رحمه الله :الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب، الظاهرة للبصائر، إذا صحَّت على كمال شروطها فهى على ضربين :

---

[89]. محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن الجزء الثاني* (دارالكتاب العربي: بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1415 ه/ 1995 م)، ص 66- 67

أحدهما :ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات، فإن الاعتبار الصحيح فى الجملة هو الذل يخرق نور البصيرة فيه حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل، حسبتما بيَّنه أهل التحقيق بالسلوك. والثانى :ما يكون أصل انفجاره من الموجودات :جزئيها أو كليها، ويتبعه الاعتبار فى القرآن[90].

وقسم الذهبي التفسير الصوفي إلى قسمين :تفسير صوفى نظرى، وتفسير صوفى فيضى أو إشارى .والفرق بينهما من وجهين.

أولا :أن التفسير الصوفى النظرى، ينبنى على مقدمات علمية تنقدح فى ذهن الصوفى أولا، ثم يترل القرآن عليها بعد ذلك .أما التفسير الإشارى فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف لو فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانيا: أن التفسير الصوفى النظرى، يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعانى، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه ، هذا بحسب طاقته طبعا .

---

[90]. محمد السيد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون الجزء الثاني* (مكتبة وهبة، القاهرة، بدون سنة الطبع)، ص 321

أما التفسير الإشارى .فلا يرى الصوفى أنه كل ما يراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شيء، وذلك هو المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره[91].

بل تفسير الجيلاني قداستوفى شروط قبول التفسير الإشارى ,وهي:

1. لا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.
2. ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
3. ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا.
4. ألا يكون لو معارض شرعي أو عقلي أن يكون لو شاهد شرعي يؤيده[92].

إذن فاالتفسير الصوفي الذى منعه العلماء هو التفسير الصوفي النظرى لأنه يتعارض مع الأدلة الصحيحة المعروفة عند المحققين .وأما تفسير الجيلاني فيدخل في التفسير الإشارى.

---

[91]. نفس المرجع، ص 304 و 313

[92]. الزرقاني، *مناهل العرفان*، الجزء الثاني ص 68

الفصل الثالث: الزهد فى السورة العنكبوت 64 عند الشيخ عبد القادر الجيلاني والمفسرون

وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

كما قال سبحانه مشيرا الى فناء زخرفة الدنيا وعدم قرارها وثباتها، وبقاء النشأة الأخرى، وما يترتب عليها من اللذات الروحانية، والدرجات العلية النورانية المتفاوته علما وعينا وحقا على تفاوت طبقات أرباب الكشف والشهود، ومقتضيات استعداداتهم الثابتة فى لوح القضاء وحضرة العلم الالهي : التى لاقرر لها ولامدار حقيقة، بل لا أصل لها أصلا سوى سراب انعكس من شمس الذات، وأمواج حدثت فى بحر الجود. يعنى كما أن السراب يلهي ويخدع العطشان بالتردد والتبختر نحوه على اعتقاد أنه ماء، فيتعب نفسه ويزيد عطشه بل يهلكها، كذلك الحياة الدنياوية ومزحرفتها الفانية ولذاتها الزائلة الذاهبة الامكانية تتعب صاحبها طول عمره، ولا ترويه، ثم تميته بأنواع الحسرة والضجرة. ومايترتب عليها من المكاشفات والمشاهدات اللدنية، وما يترتب عليها من أنواع الفتوحات والكرامات

الفائضة لأرباب التوحيد. هي مقصورة على الحياة الأزلية الأبدية التى لايطرأ عليها زوال، ولا يعقبها فناء، ولايعرض للذاتها انصرام وانقضاء. يوقنون بها وبما فيها من الكرامات لم يؤثروا الدنيا الدنية وحياتها الفانية المستعارة عليها، ولم يختاروا اللذات الوهمية البهيمية على لذاتها الأزليه الأبدية، وبجهلهم وضلالهم اختاروا الفاني على الباقي، والزائل على القار، والسراب المهلك على الفرات المحيي، والعجب منهم ومن حالهم كل العجب أنهم مع شركهم واصرارهم على الكفر، وعدم تأثرهم بالزواجر والروادع من قبل الحق وظهور المعجزات المزعجة الى الايمان.

- الزمخشرى

فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لايصغرها وهي لاتزن عنده جناح بعوضة. يريد ماهي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الاكمايلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون. أى ليس فيها الاحياة مستمرة دائمة خالدة لاموت فيها فكأنها فى ذاتها حياة، والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واو كماقالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى مافيه حياة حيوانا، قالوا: اشتر من الموتان ولاتشتر من الحيوان، وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهي مافى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان ومأأشبه ذلك، والحياة حركة كما

أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة وذلك اختيرت على الحياة فى هذاالموضع المقتضى للمبالغة فلم يؤثروا الحياة الدنيا اليها. فان قلت: بم اتصل قوله فاذا ركبوا؟ قلت: بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم، معناه هم على ماوصفوا به من الشرك والعناد.

- الغزالي

الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الأخرة أوعن غيرالله تعالى عدولا الى الله تعالى.

- جنيد البغدادي

الزهد خلو اليد من الملك وخلو القلب من التتبع.

- حسن البصري

الزهد فى الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض مافيها.

- الحكيم حسن

الزهد بمعنى الانصراف عن الدنيا والاقبال على العبادة ورياضة النفس وتهذيبها ومحاربة رغباتها بالخلوة والسياحة والصوم وقلة الطعام وكثرة الذكر.

الفصل الرابع: الزهد فى السورة لقمان 33 عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣

يأيها المجبولون على الكفران والنسيان، المشغوفون عن البغي والعدوان، الذي أظهركم من كتم العدم، ولم تكونوا شيئا مذكورا، واحذروا عن بطشه وانتقامه، فان بطشه شديد، وعذابه لعصاة عباده أليم مزيد يوم يوما لا يقضي ولا يسقط ولا يحمل مع كمال عطفه ورأفته وزر بل كل نفس حينئذ رهينة ما كسبت، ضمينة ما اكتسبت بمقتضى ما وعدالله لها وكتب، وبالجملة الذي وعده لعباده لاريب فى انجازه ولاخلف فى وقوعه أيها المجبولون على الغفلة والغرور بتغريراتها وتلبيساتها من مالها وجاهها ولذاتها الفانية الغير القارة عفوه وغفرانه وسعة رحمته وجوده أي الشيطان المبالغ فى الغرور والتغرير بأن يجبركم على المعاصي اتكالا غلى عفوالله وغفرانه.

الفصل الخامس: علامات الزهد

- لا يشعر بالسعادة حول ما يمكن تحقيقه وعدم الشعور بالحزن من خلال ما هو مفقود[93]. كما فى قوله تعالى: لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الحديد: 23.
- واحد لا تقلق إذا كان عيب وليس أن تفخر عندما أشاد. واشاد أو اللوم له على قدم المساواة.
- تصاحب نفسك دائما مع الله، قلبه مملوء دائما في طاعة الله.

[93]. فتح الله كولين، *Kunci- kunci rahasia sufi*، جاكوتا: سري كونتيغ، 2001)، ص 81